

## السَّنُوسِيُّونَ

طرابلس الغرب التي استعرت نار القتال بسببها بين الدولة العثمانية وإيطاليا بلاد قاحلة وصحارى مترامية الاطراف متسعة الاكفاف تبلغ مساحتها مليوناً و ٥١ ألف كيلومتر مربع وعدد سكانها لا يزيد على المليون بكثير . وقد عرف القراء من الصحف اليومية معظم ما تم معرفته بشأنها ولكننا أحيثنا ان نذكر لهم شيئاً عن قبائل السنوسيين الضاربة في كل شمالي افريقيا والتي كثر ذكرها في معرض الكلام عن تلك الحرب ، فنقول :

ان قبائل السنوسيين من أشهر قبائل الغرب واكثرها نزوعاً الى القتال وأشدّها شغفاً بمخوض غمرات الحرب ، وهي عزيزة الجانب نافذة الكلمة ، تكاد بنظامها تحاكي امارة من الامارات ، وبشجاعة افرادها تفوق الرجال ، وهي منتشرة في معظم تلك البقعة من افريقيا ، وقد لاقت منها فرنسا في الجزائر أهوالاً . ولا عجب اذا كانت قبائل السنوسيين ذات دربة في القتال وحنكة في الحرب فان موقع البلاد الضاربة فيها على طريق الغزاة الفاتحين . فدعاها ذلك الى المكافحة مدة عشرين قرناً ونيف . واذا كانت قد هدأت وسكنت في النصف الثاني من القرن المنصرم فالسبب في ذلك راجع الى شدة ما أجابها من جراء الحملة الفرنسية الاولى سنة ١٨٥٢ وخصوصاً الحملة الثانية سنة ١٨٥٧

وتشهد باهمية ذلك الموقع من الوجة العسكرية الحركات الحربية المتعددة التي جرت في تلك الأنحاء . ففي هذه الاصقاع كان ممر الرومانيين والقنذال والعرب ، وفيها كان معترك المرودة والمهاودة والمرائنة بعد الفتح

الاسلامي ، كما ان سلاطين تلمسان وقاس قد تنازعوا السيادة هناك مدة  
ثلاثة قرون . وقام بعد ذلك مولاي اسماعيل معاصر لويس الرابع عشر  
ملك فرنسا واقفاً في وجه الاتراك الفاتحين في ذلك الموضع نفسه  
وفي ذاك العهد كان السنوسيون منحازين الى صاحب الجزائر .  
ولربما كان مولاي اسماعيل اول من تمكن من اخضاعهم بعد حملتين  
قويتين حملهما عليهم سنة ١٦٧٩ و ١٦٨٠ فخرّب دورهم واقتلع آثارهم وانزل  
بهم الويلات حتى ساءت حالهم وتضعضت اركانهم ، ولم يسالمهم الا بعد  
ان سلموا سلاحهم وخبولهم وبنى في جبالهم ثلاثة حصون منيعة  
واول مقابلة في ساحة القتال بين الفرنسيين والسنوسيين كانت  
سنة ١٨٤٤ وكان عددهم الاكبر وبأسهم الأشد في جيش سيدي محمد  
الذي انتصر عليه المارشال بوجو في معركة إسلي . وقد كان هذا الانتصار  
عظيماً ، لكن المعاهدة التي تلته جرّت على الفرنسيين كل ما لاقوا بعد  
ذلك من الصعاب في تلك الامصار ، لانهم كانوا يجهلون تخطيط البلاد  
فقبلوا بتحديد التخوم الفاصلة كما عرضت عليهم فاصبح قسم من القبائل  
داخلاً في منطقة الحماية الفرنسية وظل قسم كبير خارجاً عنها ، فصعب  
على فرنسا توطيد سلطتها في مستعمراتها الافريقية  
على ان الجيوش الفرنسية لم تقيد في حملة ١٨٥٢ بنص المعاهدة  
ولم تحترم تلك الحدود . فقد جاء في تاريخ الجزائر تأليف بليسيه ده رينو  
ان الجنرال ده مونتوبان لم يخش ان يجتاز التخوم الفاصلة ، بل تعدّاها  
متتبعاً آثار السنوسيين ، وقد فعل الجنرال ماك ما هون فعله من جهة

حدود تونس دون ان يقوم من يعترض . وذلك لان أنظار الدول في ذلك العهد لم تكن متجهة الى ذلك القسم من افريقيا ، ولم يحتج السلطان عبد الرحمن صاحب مراکش لأن فرنسا كانت قد هددته بالزحف على بلاده اذا صدر منه ما يقلقها

اما السنوسيون فدفعتهم جراتهم الى شن الغارة على القبائل الراضخة للفرنسيين ، فجندت فرنسا ٤,٥٠٠ مقاتل بين مشاة وفرسان . وزحفت الحملة الى جهة تخوم مراکش وكانت القبائل قد حشدت هناك جيشاً لا يقل عن ٦,٠٠٠ محارب . ولكنه لم يهاجم الفرنسيين بل اكتفى بمناوشات صغيرة مدة من الزمن ، ولما عولوا على الهجوم أصابهم الفشل وعادوا خاسرين . هذا أم ما كان في حملة سنة ١٨٥٢

اما حملة ١٨٥٩ فانها كانت اكبر أهمية . وسببها ان رجلاً في بلاد الزاوية اسمه سيدي محمد بن عبد الله قام وتفخخ في صدور السنوسيين روح الثورة والتمرد . فهجموا في شهر اغسطس من تلك السنة على سيدي ظاهر وكسروا الجنود الفرنسية المرابطة هنالك وسلبوا القبائل الموالية لها . فلعبت برؤوسهم خمرة الانتصار وجمعوا جموعهم حتى بلغوا السبعة آلاف وهجموا على وادي التيولي فدحرتهم الجنود الفرنسية فتقهقروا الى ما وراء التخوم واشتدت الفوضى في البلاد فعزمت فرنسا على ان تضرب الضربة القاضية فارسلت جيشاً يناهز العشرين ألف مقاتل بقيادة الجنرال ده مارتنيري فتحصنت القبائل في الجبال والمضايق . ولكن لما سدت في وجهها أبواب الفرج حضر الحاج ميمون أحد زعمائهم الى

مضرب الجنرال ده مارتيري طالباً الأمان والسلم وقدم الرهائن ورضي  
بدفع ضريبة مئة فرنك عن كل بندقية

هذا بعض ماجرى لفرنسا مع السنوسيين ، وايطاليا الآن في  
اول عهد مناوشاتها معهم ، وهي لا شك لاقية من قوة بأسهم وشدة  
مراسم ما يحملها الخسائر الباهظة بالمال والرجال

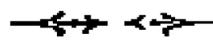
ونحتم هذه اللوحة التاريخية الوجيزة بما كتبه عن السنوسيين أحد  
الصحافيين الافرنج الذين زاروا طرابلس الغرب منذ مدة قريبة قال ما ملخصه :  
..... وبينما كنت سائراً في أحد الشوارع سمعت ضجة وأصواتاً

تكاد تشق الفضاء وطبولاً تضرب ومزماراً يعزف ووقع حوافر جياد ،  
فوقفت لأفتح طريقاً لجمهور كبير عن الاولاد والبرابرة والسودانيين ، وما  
هي الا برهة وجيزة حتى علمت ان هذه الحفلة اُقيمت لشردمة من  
فرسان السنوسيين قدموا الى طرابلس . . . سار الفرسان أربعة أربعة

بنظام مدهش وترتيب عجيب : وجوه سوداء ورؤوس تلوها عمائم  
بيضاء وقد التحفوا باردية بيضاء ايضاً ( برانس ) ، وبنادقهم مربوطة  
بسروج خيولهم والرماح على اكتافهم والسيوف متدلّية الى جانبهم . سار  
موكب هؤلاء الفرسان بترتيب عسكري جميل ، وكانت ركاب الفارس  
ملتصقة بركاب الفارس المحاذي له ، وخیلم تسير بخطوات منسقة على  
تقرات الطبول ونغمات المزمار . وقد وقفت عند مرورهم جامداً لا ابدي  
حراكاً وقد دهشت لجمالهم الرائع وسوادهم اللامع وصحة أبدانهم وطول  
قاماتهم ، وأيقنت انه لو تمّ تنظيمهم على الطرق العسكرية الحديثة لحاربوا

مملكة عظيمة وخدمهم . وقد رأيت هؤلاء السنوسيين ايضاً في احدى  
قهوات طرابلس ، رأيتهم جلوساً وقد خيمت عليهم السكينة ، فلا ضجة  
ولا هرج بل كانوا كأنهم خارجون للانتقام وعلامات الرزاة والرصانة بادية  
على وجوههم . وقد جلست الى جانبهم أتأمل حالتهم ، وما هي الاهنية  
حتى رأيتهم وقفوا وبسرعة البرق امتطوا صهوات خيولهم ونظموا صفوفهم  
وساروا تكتفهم الهيبة والوقار . . . »

هذا بعض الشيء عن السنوسيين الذين تعتمد عليهم الدولة الآن  
في رد غارات الطليان عن طرابلس الغرب



## الوصايا العشر

﴿ للنساء المتزوجات <sup>(١)</sup> ﴾

وضع اخدم الوصايا العشر الآتية وهو يعتقد ان فيها سعادة النساء  
المتزوجات . فلتجربها قارئاتنا الكريمات وليعرفنا مبلغ صحتها  
١ - تحاشي الخلاف الاول مع زوجك ، ولكن اذا لم يكن بد من  
حدوثه فاعلمي على الخروج منه متصرة لان انتصارك الاول يرفع قدرك  
في عين رجلك

٢ - لا تنسي انك تزوجت رجلاً لا الهأ ، فتسامحي عن تقائصه

( ١ ) نشرنا ص ٣٦١ وما يليها من هذا العدد بعض وصايا العرب للزوجات  
ورأينا ان نترجم للقراء والقارئات هنا للمقابلة وصايا وضعها أحد الكتاب المحدثين